

بيت الله مَجْمَعُ العظمة والجلال



مباحث الموضوع	الهدف
توطئة.	بيان ما يكون عليه الحاج والمعتزم من ثواب ومقامات.
١. طواف الحاج بالبيت كطواف الملائكة بالعرش.	٢. الحج المبرور لا يعدله شيء ولا جزاء له إلا الجنة.
٣. ما بلغت ما يبلغ الحاج.	٤. لا خلاص إلا بالإخلاص.
٥. يا زرة بيت يحج قبل آدم بألفي عام.	٦. المطيفين بعرشه.

توطئة

روى ثقة الإسلام الكليني عن يونس قال: كان ابن العوجاء... قدم مكة متمرداً وإنكاراً على من يحج، وكان يكره العلماء مجالسته ومسائلته لخبث لسانه وفساد ضميره، فأتى أبا عبد الله عليه السلام فجلس إليه في جماعة من نظرائه، فقال يا أبا عبد الله إن المجالس أمانات، ولا بد لكل من به سعال أن يسعل، أفتأذن لي في الكلام؟ فقال عليه السلام: **تكلم**، فقال الحاكم تدوسون هذا البيدر، وتعبدون هذا بهذا الحجر، وتعبدون البيت المعمور بالطوب والمدر، وتهولون حوله هرولة البعير إذا نفر؟ إن من فكر هذا وقدر علم أن هذا فعل أسسه غير حكيم ولا ذي نظر، فقل فإنك رأس هذا الأمر وسنامه وأبوك أسه وتمامه.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: **«إن من أضله الله وأعمى قلبه استوخم الحق ولم يستعديه، فصار الشيطان وليه وقرينه وربّه، يورده مناهل الهلكة ثم لا يصدره، وهذا بيت استعبد**



«وفرض عليكم حج بيته الحرام الذي جعله قبلة للأنام يردونه ورود الأنعام، ويألهون إليه ولوه الحمام جعله الله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته وإذعانهم لعزته، واختار من خلقه سماعاً أجابوا له دعوته، وصدقوا له كلمته، ووقفوا مواقف أنبيائه، وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه، يحرزون الأرباح في متجر عبادته ويتبادرون عنده موعد مغفرته^(١)».

٢. الحج المبرور لا يعدله شيء ولا جزاء له إلا الجنة^(٢)؛

أفضل من كتب فيه وأوضح من حكي عنه هو الشيخ محمد حسن الجواهر في مقدمة كتاب الحج من موسوعته الفقهية جواهر الكلام فقال: «الحج الذي هو من أعظم شائع الإسلام، وأفضل ما يتقرب به الأنام إلى الملك العلام، لما فيه من إذلال النفس وإتعالب البدن، وهجران الأهل والتغرب عن الوطن، ورفض العادات وترك اللذات والشهوات، والمنافرات والمكروهات وانفاق المال وشد الرحال وتحمل مشاق الحل والإرتحال

الله به خلقه ليختبر طاعتهم في إتيانه، فحثهم على تعظيمه وزيارته، وجعله محل أنبيائه وقبلة للمصلين إليه، فهو شعبة من رضوانه وطريق يؤدي إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال ومجمع العظمة والجلال، خلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عام فأحق من أطيع في ما أمر وانتهى عما نهى عنه وزجر الله، منشئ الأرواح والصور^(١)».

١. طواف الحاج بالبيت كطواف الملائكة بالعرش:

نحن لم نر كيفية طواف الملائكة بعرش الرحمن فضلاً عن رؤية العرش إلا أننا أماناً بذلك اعتماداً على ما نقله إلينا القرآن والسند من صور ومشاهد كما جاء في الآية الخامسة والسبعين من سورة الزمر حيث يقول: **«وَرَأَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»** ومن السنة ما جاء على لسان أمير المؤمنين وسيد المتقين عليه السلام حيث قال في معرض الحديث عن فلسفة فرض الحج فقال:

(٢) نهج البلاغة.

(٢) وسائل الشريعة، وكتاب الحج باب ٤١، ج ٢، والمستدرک باب ٢٤، ج ٢٢.

(١) الكليني.

ومقاسات الأهوال، والإبتلاء بمعاشرة السفلة والأندال، فهو حينئذ رياضة نفسانية وطاعة مالية وعبادة بدنية، قولية وفعلية وجودية وعدمية، وهذا الجمع من خواص الحج من العبادات التي ليس فيها أجمع من الصلاة، وهي لم تجتمع فيها ما اجتمع في الحج من فنون الطاعات ومن هنا ورد أن الحج المبرور لا يعدله شيء ولا جزاء له إلا الجنة، وأنه أفضل من عتق سبعين رقبة^(١)،^(٢).

٣. ما بلغت ما يبلغ الحاج:

ثم تعرّض صاحب الجواهر رحمته للهيئة التي يجب أن يكون عليها الحاج وبيان ثوابه وهو ينجز بعض مناسكه مستنداً في ذلك ومعتمداً على بعض الأخبار فقال: في خبر محمد بن مسلم: «من قدم حاجاً حتى إذا دخل مكة دخل متواضعاً فإذا دخل المسجد قصر خطاه من مخافة الله عز وجل فطاف بالبيت طوافاً وصلى ركعتين كتب الله له سبعين ألف حسنة، وخط عنه سبعين ألف سيئة ورفع له سبعين ألف درجة، وشفعه في سبعين ألف حاجة، وحسب له عتق سبعين ألف رقبة، قيمة كل رقبة عشرة آلاف درهم»^(٣).

وفي خبر معاوية ابن عمار عن أبي عبد الله عن أبيه عن أبيه عن رسول الله ﷺ لقبي أعرابي فقال: يا رسول الله إني خرجت أريد الحج فضاتني وأنا رجل مميل (صاحب مال)، فزمني أن أصنع في مالي ما أبلغ به مثل أجر الحاج فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال: «انظر إلى أبي قبيس فلو أن أبا قبيس لك ذهبية حمراء أنفقته في سبيل الله ما بلغت ما يبلغ الحاج، ثم

قال ﷺ: إن الحاج إذا أخذ في جهازه لم يرفع شيئاً ولم يضعه إلا كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات، فعذر رسول الله كذا وكذا موقفاً إذا وقفها الحاج خرج من ذنوبه، ثم قال: أنى لك أن تبلغ ما يبلغ الحاج، ثم قال أبو عبد الله ﷺ: «ولا تكتب عليه الذنوب أربعة أشهر وتكتب له الحسنات إلا أن يأتي بكبيرة»^(٤).

٤. لا خلاص إلا بالإخلاص:

ثم ذكر العلامة النجفي رحمته ما ينبغي أن يكون عليه الحاج، فقال: نعم ينبغي المحافظة على صحة هذه العبادة المعظمة بتصحيح النية، لأن الحج موضوع على الإعلان، ومعدود في هذه الأعصار من أسباب الرفعة والإفتخار والأبهة والإعتبار، بل هو مما يتوصل به إلى التجارة والانتشار ومشاهدة البلدان والأمصار، والإطلاع على أحوال الأماكن والديار، فيخشى عليه من تطرف هذه الدواعي الفاسدة للمبطلة للعمل في بعض الأحوال، ولا خلاص من ذلك إلا بالإخلاص، ولا إخلاص إلا بالخلو من شوائب العجب والرياء، والتجرد عن حب المدح والثناء، وتطهير العبادات الدينية عن التلوّث بالمقاصد الدنيوية، ولا يكون ذلك إلا بإخراج حب الدنيا من القلب، وقصر حبه على حب الله تعالى، ويكون ذلك هو الداعي إلى العمل، وهو ملاك الأمر ومدار الفضل، والطريق العلمي إليه واضح مكشوف^(٥).

٥. يا زارة بيت يحج قبل آدم بألفي عام:

بعد أن تعرض في الجواهر إلى وجوب التفقه بأحكام الحج، نقل عن زارة الرواية التالية: يا زارة بيت

يحج قبل آدم بألفي عام تريد أن تقضى مسائله في أربعين عاماً^(٦).

خاتمة:

أتما برسول الله ﷺ حجكم:

قال أبو الصلت الهروي: «قلت لعلي بن موسى الرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه أهل الحديث أن المؤمنين يزورون ربهم من منازلهم في الجنة؟ فقال عليه السلام: يا أبا الصلت، إن الله تبارك وتعالى فضل نبيه محمداً ﷺ على جميع خلقه من النبيين والملائكة، وجعل طاعته طاعته، ومتابعته متابعته، وزيارته في الدنيا والآخرة زيارته، فقال عز وجل: «مَنْ يَطْعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ»^(٧).

«إِنَّ الَّذِينَ يُيَاكُونُكَ إِنَّمَا يُيَاكُونُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ»^(٨)، وقال النبي من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله، درجة النبي في الجنة أربع الدرجات، فمن زاره إلى درجته في الجنة من منزله فقد زار الله تبارك وتعالى^(٩). وقال يحيى بن يسار: «حججنا فمررنا بأبي عبد الله ﷺ فقال: حاج بيت الله وزوار قبر نبيه وشيعة آل محمد، هنيئاً لكم»^(١٠).

وقال عامر بن عبد الله: «قلت لأبي عبد الله، إني زرت جمالي دينارين أو ثلاثة على أن يمر بي إلى المدينة، فقال: قد أحسنت ما أسر هذا، تأتي قبر رسول الله ﷺ وتسلم عليه، أما إنه يسمعك من قريب، ويبلغه عنك من بعيد»^(١١).

(٦) جواهر الكلام النجفي، ج ١٧، ص ٢١٧، ٢١٨.

(٧) سورة النساء، الآية، ٨٠.

(٨) سورة الفتح، الآية، ١٠.

(٩)

(١٠)

(١١)

(٤) الوسائل، باب الوجوب، الحج، باب ٤٢، ح ١.

(٥) جواهر الكلام، النجفي، ج ١٧، ص ٢١٧، ٢١٨.

(١) الوسائل، باب وجوب الحج، باب ٤٢، ح ٢.

(٢) جواهر الكلام، ج ١٧، مقدمة الحج، ص ٢١٤.

(٣) الوسائل، كتاب الحج، باب وجوب الحج، باب ٢٢، ح ٢.